مِنْ أَجْلِ ثَقَافةٍ شِيعِيَّةٍ زَهرَائِيّةٍ أَصِيلَة مِنْ أَجْلِ نَهضةٍ ثَقَافيّةٍ حُسينيّةٍ زَهرَائِيّةٍ مُتحضِّرة

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيّ زَهرَائِيٍّ رَاقْ

على ضِفَاف الحُروف
عَينِيّة الجَواهري

عبدُ الحَليم الغِــزّي

منشــورات موقع القمر

على ضِفَاف الحُروف
عَينِيّة الجَواهري

يوم الجمعة

بتاريخ: 20 صفر 1439 هـ

الموافق: 2017/11/10 م

يا زهـــراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

على ضِفَاف الحُروف
عينِيّة الجَواهري

عبدُ الحَليم الغِزّي

في أربعينية الإمام الحسين "صلوات الله عليه"

هيئة زهرائيون/ ستوكهولم/ السويد

يا زهراء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

سَلَامٌ عَلَى رَأسكَ المَرفوعِ يَا حُسَين..

في الليلةِ الماضية قرأتُ على مسامعكم عينيّة الجواهري والَّتي تصلُ أبياتها إلى أربعةٍ وستّين بيتاً، شرحتُ منها شرحاً مُوجزاً مُختصراً ثلاثةً وثلاثين بيتاً، ما يتجاوزُ نصفها بشيءٍ قليل، بقي مِن القصيدةِ واحدٌ وثلاثون بيتاً سأتناولها في هذه الليلةِ بنفس طريقتي مِن الشَّرحِ والبيانِ الموجزِ المختصر.

لأجلِ أن تتواصل المعاني والمضامين سأعيدُ قراءة العينيّةِ مرَّةً أخرى:

(آمنتُ بالحُسين)

فِداءٌ لِمثواكَ مِن مَضجعٍ تنوَّر بِالأَبْلَجِ الأَرْوَعِ

بِأعبقَ مِن نَفَحاتِ الجِنانِ رَوحاً ومِن مِسكها أضوعِ

ورعياً لِيومكَ يَوم الطفوفِ وَسقْياً لأرضكَ مِن

وَحُزناً عَليكَ بِحبس النُّفوسِ على نَهجكَ النَيِّر المَهيَعِ

وَصوناً لِمجدك مِن أن يُذالَ بِما أنت تأباهُ مِن مُبدَعِ

فيا أيُّها الوِترُ في الخَالِدين فذّاً إلى الآن لم يُشفعِ

ويا عِظَة الطّامِحينَ العِظَامِ لِلَاهِين عَن غَدِهم قُنَّعِ

تَعاليتَ مِن مُفزعٍ للحتوفِ وبُورِكَ قبرُك مِن مَفزعِ

المجلس الثاني - السويد

تلوذُ الدُّهور فَمِن سُجَّدٍ ... على جانبيهِ ومِن رُكَّعِ
شَممتُ ثَراك فَهَبَّ النَّسيمُ ... نَسيمُ الكَرامةِ مِن بلقعِ
وعفَّرتُ خَدِّي بحيثُ استراحَ ... خَدٌّ تَفرَّى ولم
وَحيثُ سنابكُ خَيلِ الطّغاةِ ... جَالَت عَلَيهِ ولَمْ يَخشَعِ
وَخِلتُ وقد طارت الذِّكرياتُ ... بروحي إلى عالمٍ أرفعِ
وطُفتُ بِقبرك طوف الخيالِ ... بصومعةِ المُلهِمِ المُبدعِ
كأنَّ يداً مِن وراءٍ ... حمراء مبتورة الإصبعِ
تُمدُّ إلى عالمٍ بالخُنوعِ ... والضَّيم ذي شَرَقٍ مُترعِ
تخبَّط في غابةٍ أطبقت ... على مُذئبٍ منهُ أو مُسبِعِ
لِتُبدِل منهُ جَديب الضَّميرِ ... بآخر مُعشَوشِبٍ مُمرعِ
وتدفع هذي النُّفوس الصِّغار ... خوفاً إلى حرمٍ أمنعِ
تَعاليتَ مِن صاعقٍ يلتظي ... فإنْ تَدجُ داجيةٌ يَلمعِ
تأرَّم حقداً على الصَّاعقاتِ ... لم تُنء ضَيراً ولم تنفعِ
ولم تبذر الحَبَّ إثر الهشيمِ ... وقد حرَّقتهُ ولم تزرَعِ
ولم تُخلِ أبراجها في السَّماءِ ... ولم تأتِ أرضاً ولم تُدْقِعِ
ولم تقطع الشَّرَّ مِن ... وغِلَّ الضمائرِ لم تنزعِ
ولم تصدمْ النَّاسَ فيما هُم ... عليهِ مِن الخُلقِ الأوضعِ
تَعاليتَ مِن فَلكٍ قُطرهُ ... يدورُ على المحور الأوسعِ
فيابن البتولِ وحسبي بها ... ضماناً على كُلِّ ما أدّعي
ويابن الّتي لم يضع مثلها ... كمثلك حملاً ولم تُرضعِ
ويابن البطينِ بلا بطنةٍ ... ويابن الفتى الحاسر الأنزعِ

المجلس الثاني - السويد

ويا غُصن هاشم لم ينفتح ... بأزهر منك ولم يُفرعِ
ويا وَاصلاً مِن نشيدِ الخُلودِ ... خِتام القصيدةِ بالمطلعِ
يسيرُ الورى بركابِ الزَّمانِ ... مِن مُستقيمٍ ومِن أظلعِ
وأنتَ تُسَيِّرُ ركب الخُلودِ ... ما تستجدَّ لهُ يتبعِ
تَمثّلتُ يومك في خاطري ... وردَّدتُ صوتك في مسمعي
ومَحَّصتُ أمرك لم أرتهب ... بنقل الرّواةِ ولم أَخدعِ
وقُلتُ لعلَّ دَويَّ السِّنينِ ... بأصداءِ حادثك المُفجِعِ
وما رَتَّل المخلصون الدُّعاةُ ... مِن مُرسِلِين ومِن سُجَّعِ
ومِن ناثراتٍ عليك المساء ... والصُّبح بالشَّعرِ والأدمُعِ
لعلَّ السِّياسة فيما جنت ... على لاصقٍ بِك أو مُدَّعِ
وتشريدها كُلّ مِن ... بحبلٍ لأهليك أو مقطعِ
لعلَّ لِذاكَ وكونِ الشَّجي ... ولوعاً بكُلِّ شَجٍ مُولَعِ
يداً في اصطباغِ حديثِ الحُسينِ ... بلونٍ أُريدَ لهُ مُمتعِ
وكانت ولَمَّا تَزل برزةً ... يدُ الواثقِ المُلجَأ الألمعي
صَنَاعاً متى ما تُرِد خُطّةً ... وكيف ومهما تُرِد تصنعِ
ولَمَّا أزحتُ طلاء القُرونِ ... وسِتر الخِداعِ عن المَخدَعِ
أُريدُ الحقيقة في ذاتها ... بغير الطبيعةِ لم تُطبعِ
وجدتُك في صورةٍ لم أَرَع ... بأعظَم منها ولا أروعِ
وماذا أروعُ مِن أن يكون ... لحمك وقفاً على المبضعِ
وأن تتَّقي دون ما ترتئي ... ضَمير ك بالأَسَّلِ
وأن تُطعم الموت خير البنينِ ... مِنَ الأكهلَّينَ إلى الرُضَّعِ

وخيرِ بني الأمِّ مِن هاشمٍ ... وخيرِ بني الأَبِ مِن تُبَّعِ
وخيرَ الصِّحابِ بِخيرِ الصُّدورِ ... كانوا وِقَاءَك والأذرُعِ
وقدَّستُ ذكراك لم أنتحل ... ثياب التُقاةِ ولم أدَّعِ
تقحَّمت صدري وريبُ الشُّكوكِ ... يضجُّ بِجدرانهِ الأربعِ
ورَانَ سحابٌ صفيقُ الحجابِ ... عَلَيَّ مِن القلقِ المُفزعِ
وهبَّت رياحٌ مِن الطيِّباتِ ... والطيِّبين ولم يُقشَعِ
إذا ما تزحزح عن موضعٍ ... تأبَّى وعاد إلى موضعِ
وجاز بي الشَّكُّ فيما معَ ... الجدودِ إلى الشَّكِّ فيما معي
إلى أنْ أقمتُ عليه الدَّليل ... مِن مبدإٍ بدمٍ مُشبَعِ
فأسلم طوعاً إليك القياد ... وأعطاكَ إذعانة المُهطعِ
فنوَّرت ما اظلمَّ مِن فِكرتي ... وقوَّمت ما اعوجَّ مِن أظلعي
وآمنتُ إيمان مَن لا يرى ... سِوى العقلِ في الشَّكِّ مِن مرجعِ
بأنَّ الإباء ووحي السَّماءِ ... وفيض النُبُوَّة مِن مَنبعِ
تجمَّعُ في جوهرٍ خالصٍ ... تنزَّه عن عَرَضِ المطمعِ

فداءٌ.. فداءٌ لمثواكَ مِن مضجعِ

آخرُ بيتٍ مِن أبياتِ هذه القصيدة العصماء وصلتُ إليهِ في الليلةِ الماضية:

وأنت تُسَيِّرُ ركب الخُلودِ ... ما تستجدَّ لهُ يتبعِ

سأبدأ في هذه الليلةِ مِن البيت الَّذي يليه، لن أشرح الأبيات بشكلٍ مُوسَّعٍ ومُفصَّل فذلك يحتاجُ إلى وقتٍ طويل ولكنَّني سأمرُّ على الكلماتِ الَّتي هي بحاجةٍ إلى شرحٍ وبيانٍ لمعانيها وربَّما ذكرتُ شيئاً مِن هُنا وهُناك بنحوٍ مُوجز:

تمثَّلتُ يومك في خاطري ... ورَدَّدتُ صوتك في مَسمعِي

بعد كُلِّ البيانات الَّتي تقدَّمت مِن أوَّلِ بيتٍ في القصيدةِ إلى البيت الرَّابعِ والثَّلاثين منها:

وأنت تُسَيِّرُ ركب الخُلودِ ما تستجدَّ لهُ يتبعِ

الجواهري رَسَم صورةً يُمكن أن أقول عنها بانوراما، البانوراما لوحةٌ تَرسِمُ الوقائع في خُطوطها العامَّة، لن تدخُل في التَّفاصيل الصَّغيرةِ جداً، فالجواهريُّ مِن أوَّلِ بيتٍ إلى البيت الرَّابعِ والثَّلاثين مِن عينيَّتِهِ: (آمنتُ بالحُسين) رسم لنا بانوراما شعريَّة وانتقل بعد ذلك إلى الدُّخولِ في التَّفاصيل فمِن أين ستبدأ الحكايةُ؟ ستبدأ الحكايةُ مِن هُنا:

تمثّلتُ يومك في خاطري ورَدَّدتُ صوتك في مَسمعِي

هُنا يذهبُ الشَّاعرُ إلى مُلامسة التَّفاصيلِ فيما جرى على أرض الطفوف وهذا البيتُ يُجملُ المضمون بكُلِّهِ.

تمثَّلتُ يومك في خاطري: لا يوم كيوم الحُسين فإذا ما أردتُ أن أرسم صورةً في خاطري، في مُخيِّلتي فلابُدَّ أنّي أنصبُ مثالاً، لذلك يتمثَّلُ الشَّاعرُ مثالاً: (تمثَّلتُ يومك في خاطري) المعطياتُ الَّتي يمتلكها الشَّاعرُ، الَّتي يمتلكها الإنسانُ والَّتي مِن خِلالها يُريد أن يبني خيالاً، يُريد أن يرسم صورةً في مُخيَّلتهِ هذه المعطياتُ ستكون محدودةً، ليست فيما يرتبطُ بواقعة الطفوف، في كُلِّ واقعة، في كُلِّ واقعةٍ مِن وقائع الحياة إذا أردنا أن نتخيَّل تفاصيلها ولم نكن جُزءًا منها فإنَّ المعطيات ستكونُ محدودةً حينئذٍ فما بالك في يومٍ لا يُماثلهُ يوم.

تمثّلتُ يومك في خاطري ورَدَّدتُ صوتك في مَسمعِي

ومَحَّصتُ أمرك لم أرتهب بنقل الرِّواةِ ولم أَخدعِ

فحين تمثَّلتُ هذا اليوم وجدتهُ مهولاً فهل أنَّ الرُّواة نقلوا الحقيقة؟ هل بالغوا؟ هل قصَّروا؟ ومحصَّتُ أمرك: والتمحيصُ تنقيةٌ، التمحيصُ عمليَّةٌ فلترة.

ومَحَّصتُ أمرك لم أرتهب بنقل الرِّواةِ ولم أَخدعِ

(إنَّني أبحثُ هُنا عن الحقيقةِ في كُلِّ أبعادها أُريدها حقيقةً مِن دون رُتوش) لستُ أنا الَّذي أقول الشَّاعرُ هو الَّذي يقول، والشَّاعرُ قد بيَّن منهجيَّتهُ إنَّهُ تعامل مع هذهِ الحقيقةِ على أساس العقل الحُرّ ولذلك في آخِر القصيدةِ وصل إلى هذه النَّتيجة، في آخِر القصيدةِ:

وآمنتُ إيمان مَن لا يرى سوى العقلِ في الشَّكِّ مِن مرجعِ

هُنا يتحرَّكُ بهذا الاتِّجاه:

تـمـثّـلـتُ يـومـك فـي خـاطـري ورَدَّدتُ صـــوتـك فـي مَسـمـعِي

ومحَّصتُ أمرك لم أرتهب: والرَّهبةُ؛ الخوفُ والوجلُ والخشيةُ، تلك هي الرهبة.

ومَـحَّصـــتُ أمـرك لـم أرتـهـب بـنـقـل الـرّواةِ ولـم أَخـدعِ

وقُـلـتُ لـعـلَّ دَويَّ السِّـــنـيـن بـأصـــداءِ حـادثـك الـــمُفجِعِ

حادثٌ مُفجع ومرَّت القرون تلو القرون فلربَّما تركَت السُنون تراكمات وتركت آثاراً وتركت مُضاعفات ما بين ناقلٍ ليس دقيقاً في نقلهِ وما بين مُغرضٍ يُريد التحريف وما بين مُحدِّثٍ قد نسي الحقيقة ثُمَّ رقَّعها، فكُلُّ هذهِ الاحتمالات قائمة.

وقُـلـتُ لـعـلَّ دَويَّ السِّـــنـيـن بـأصـــداءِ حـادثـك الـــمُفجِعِ

وما رتَّل المخلصون الدُّعاة: الَّذين يدعون النّاس إلى منهجك، الَّذين يُذكِّرون النّاس بفجيعتك.

وما رتَّل المخلصون: والمرتِّلُ هو القارئ، المرتِّلُ هو القارئُ الَّذي يقرأُ النُّصوص بوضوح، يُخرِجُ الحروف مِن مخارجها، وينثرُ الـجُمَل نثراً بشكلٍ واضح، هذا هو الـمُرتِّل.

ومـا رَتَّـل المـخلصـــون الـدُّعـاةُ مِـــــــــــــــــــــــــــــن

المرسلُ هو الَّذي يتحدَّثُ كما أتحدَّث أنا الآن، فهذا حُديثٌ مُرسِل وحديثٌ مُرسَل، الـمُرسِلين هم الَّذين يتحدَّثون مِن دونِ تقاطيعٍ في طُول الـجُمَل ومِن دونِ سَجَع، في بعض الأحيانِ يتحدَّثُ الـمُتحدِّثُ فيجعلُ جُمَلهُ مُتساوية وكأنَّها مقاطيع ومسجوعة لها قافيةٌ واحدة وكُلُّ ذلك في التعابير النثريَّة.

وما رتَّل المخلصون الدُّعاةُ: على مُختلفِ أنحاءِ حديثهم إن كانوا مُرسِلين في حديثهم أو كانوا ساجعين في كلامهم.

ومـا رَتَّـل المـخلصـــون الـدُّعـاةُ مِـن مُـرسِـــلِـيـن ومِـن سُـــجَّـعِ

ومِـن نـاثـراتٍ عـلـيـك الـمســـاء والصُّـــــــــــبـــــــــح.....

البيت إذا نُريد أن نرتّبهُ:

ومِن ناثراتٍ عليك بالشَّـــعرِ والأدمعِ الـــمســـــاء والصُّـــــبـــح

المجلس الثاني - السويد

يعني مساءً وصبحاً، "مِن ناثراتٍ" الحديثُ عن باكياتٍ ينثرن شعورهنَّ وينثرن دُموعهنَّ، والنَّثرُ هو إعطاءُ الأشياءِ دُفعات ولكن بكثرة، لذلك ما يُرمى مثلاً مِن الحلوى أو مِن القطع النَّقديَّة أو مِن بعض الهدايا في المناسبات بشكلٍ كثير ومُنتشر يُقال لهُ نِثار، النِّثار هو هذا الَّذي يُنثر بشكلٍ وافرٍ وكثير فيتساقط هُنا البعض منه ويتساقط هُناك البعض الآخر منه.

ومِـن نـاثـراتٍ عـلـيـك الـمســـاء والصُّـــبـح بـالشَّـــعـرِ والأدمـعِ

كُلُّ ما مرَّ عِبر التأريخ وربَّما قد يُشيرُ الشَّاعرُ إلى ما وردَ في الأحاديثِ وفي الرِّواياتِ عندنا فالشَّاعرُ نجفيٌّ والجواهريُّ حوزويٌّ وثقافةُ النَّجفِ موغِلةٌ فيهِ، فلربَّما يتحدَّثُ عن المعاني الَّتي تُذكرُ دائماً على المنابرِ الحُسينيَّةِ فيما جاء في الأحاديثِ والرِّوايات مِن أنَّ الهاشميَّات ما اكتحلت واحدةٌ منهنّ، ما اكتحلت هاشميَّة ولا اختضبت، أحزانٌ مُستمرَّةٌ لسنين، واستمرَّ هذا الأمرُ بعد ذلك في نِساء الشِّيعةِ عِبر التأريخ.

ومِـن نـاثـراتٍ عـلـيـك الـمســـاء والصُّـــبـح بـالشَّـــعـرِ والأدمـعِ

وهذا هو حُزنُ المرأة العربيَّةِ بهذه الطريقة بنثرِ شعرها وببكائها ودموعها، مثلما بيَّنتُ في يومِ أمس مِن أنَّ الشَّاعر يتحدَّثُ بلسانِ الثَّقافةِ العربيَّة، باللسان الَّذي يتحدَّثُ بهِ شُعراءُ العرب.

لـعـلَّ السِّـــيـاســـة فيـمـا جـنـت عـلـى لاصـــقٍ بِـك أو مُـدَّعِ

وعِبر التأريخ هُناك مَن التصق بالحُسينِ حقيقةً وهُناك مَن كان مُدَّعياً أخذ الحُسينَ شعاراً.

لـعـلَّ السِّـــيـاســـة فيـمـا جـنـت عـلـى لاصـــقٍ بِـك أو مُـدَّعِ

وتشريـــــدها كُـــــلّ مَن بـحـبـلٍ لأهـلـيـك أو مـقـطـعِ

هُنا استعار[٢٣] الشَّاعرُ هذا المعنى كيف أخذ الصورة مِن البئر، والبئرُ فيهِ دلوٌ وهذا الدَّلو مربوط بحبل فحينما نريدُ التواصل مع البئر لابُدَّ أن نُرخي الحبل فهُنا أنا أدَّلي، أدَّلي؛ إنَّني أُرخي الحبل كي أُنزل الدَّلو لأملأهُ ماءً مِن البئر ثُمَّ بعد ذلك أجرُّهُ وأسحبهُ، أخذ هذه الصورة لإعطاءِ معنى التواصل مثلما نتواصلُ مع البئرِ كي نُحصِّل ماءً كي ننتفع منه.

وتشريـــــدها كُـــــلّ مِـــن بـحـبـلٍ لأهـلـيـك أو مـقـطـعِ

٢٣

المراد مِن المقطع كما يبدو لي مِن تسلسل القصيدةِ وتسلسلِ أفكارها المراد مِن المقطع مقطعٌ مِن الكلام، مقطعٌ مِن الشِّعر، ومقطعُ الكلامِ جُزءهُ ومقطعُ الشِّعرِ جُزءهُ، فالشَّاعرُ هُنا يُريد أن يقول مِن أنَّ السِّياسة عِبر التأريخ شَرَّدت الَّذين يتواصلون معكم بشكلٍ كامل وجاء بمثال الحبل باعتبار هُنا تواصل كامل أو حتَّى الَّذين مُجرَّد أن يقولوا كلمة فإنَّ السِّياسة عِبر التأريخ شرَّدتهم.

لعلَّ السِّياسة فيما جنت ... على لاصقٍ بِك أو مُدَّعِ

وتشريدها كُلّ مِن ... بحبلٍ لأهليك أو مقطعِ

لعلَّ لذاك: لكُلِّ هذه الأسبابِ[1] الَّتي مرَّت.

وكونِ الشَّجي: الشَّجي هو صاحبُ الحزن.

وكونِ الشَّجي ولوعاً: مُحبَّاً، ولوعاً مُحبَّاً بشدَّة، فصاحبُ الحُزنِ يكونُ عاشقاً ومُحبَّاً وراغباً ومُلتصقاً بكلِّ ما يُؤكِّدُ أحزانهُ وأشجانه فلربَّما جاء هذا التراكم مِن السِّياسةِ أو جاء التراكم مِن نفس المحزونين عليك فإنَّ حُزنهم يتراكمُ شيئاً فشيئاً وبالتالي يصوغون صوراً وأحداثاً وتفاصيل لأنَّهم يُغرقون بعيداً في التعبيرِ عن حُزنهم وعن أشجانهم.

لعلَّ لذاكَ وكون الشَّجي -الشَّجي هو الحزين- وكون الشَّجي ولُوعاً بِكُلِّ شجٍ -بكُلِّ حُزنٍ- ولوعاً بِكُلِّ شجٍ مولعِ، لهذه لأسباب الَّتي مرَّت.

يداً في اصطباغِ حديثِ الحُسينِ ... بلونٍ أَريدَ لهُ مُمتعِ

لعلَّ هذه الأسباب هي الَّتي أدَّت إلى أن يكون حديثُ الحُسينِ مُؤثِّراً، حين يقول: بلونٍ أريد لهُ مُمتعٍ، هو لا يتحدَّثُ عن المتعةِ المعنى المتعارف عن ارتياح النَّفسِ بالأشياءِ الَّتي تتمتَّعُ بها، وإنَّما هُنا يتحدَّثُ عن مُتعة العقلِ، القصيدةُ بدأت تنحى بهذا الاتِّجاه، إنَّهُ يتحدَّثُ عن مُتعة العقلِ، مِن أنَّ الحِكمة وأنَّ العقل حين يقفُ في مشهد الحُسينِ فإنَّهُ يجدُ صُورةً مُتكاملة لا نقصَ فيها، والعقلُ والحِكمةُ إذا ما واجهت صُورةً مُتكاملة فإنَّ العقل يشعرُ بمتعةٍ لا مثيلَ لها، والمتعةُ هُنا لا علاقة لها بالفرحِ أو السُّرور، لا علاقة لها بالرَّاحةِ وإنَّما المتعة هُنا عند العقلِ هو حديثُ الإعجاب، هو حديثُ الانبهار، هذا المراد مِن المتعةِ الَّتي يتحدَّثُ عنها الشَّاعرُ هُنا.

المجلس الثاني - السويد

لـعـلَّ لِـذاكَ وكـونِ الشَّـــجـي ولـوعـاً بـكُـلِّ شَـــجٍ مُـولَـعِ
يداً في اصـــطباغِ حديثِ الحُســينِ بـلـونٍ أَريـدَ لـهُ مُـمـتـعِ

وكلمة "الاصطباغ" وإن كان الوزن يقتضيها ولكن كلمة الاصطباغ أجمل في التعبير مِن كلمة الصبغ ومِن كلمة الصِّباغ، فالاصطباغُ صِباغةٌ مع تزيين، الصِّباغةُ صِباغة، صُبغٌ يُوضَعُ على شيءٍ يُصبغ، أمَّا الاصطباغ فهي صِباغةٌ مع زينةٍ، مع تزيين مع تجميل.

لـعـلَّ لِـذاكَ وكـونِ الشَّـــجـي ولـوعـاً بـكُـلِّ شَـــجٍ مُـولَـعِ

لكُلِّ هذه الأسباب الَّتي تقدَّمت: دويُّ السِّنين، ما رتَّل المخلصون الدُّعاة، ومِن ناثراتٍ عليك المساء والصُّبح، لعلَّ السِّياسة فيما جنت، لعلَّ لذاك وكونِ الشَّجي، كُلُّ هذه الأسباب ربَّما هي الَّتي رسمت لنا لوحة الحُسينِ وإنَّها ما كانت كذلك، هُناك أيادٍ دخلت فرسمت هذه اللوحة وأضافت عليها ما أضافت.

يداً في اصـــطباغِ حديثِ الحُســينِ بـلـونٍ أَريـدَ لـهُ مُـمـتـعِ

وكانت ولَمَّا تزل بَرزةً: بَرزةً؛ أي ظاهرةً واضحةً، يُقالُ امرأةٌ بَرزَة في لُغة العرب، امرأةٌ بَرزَة هي مُشخَّصةٌ بين النِّساء، قادرةٌ على بيانِ ما تُريد، ويُقالُ هذه صورةٌ بَرزة؛ صورة واضحة جليَّة.

وكانت ولَمَّا تزل برزةً: واضحةً ومنهُ المبارزة نفس المعنى بَرَز إلى ساحة المعركة ظهر وخرج.

وكانت ولَمَّا تزل برزةً -واضحةً ظاهرةً بيّنةً- يد الواثق المُلجَأ الألمعِي: الواثق هو المعتمدُ على نفسه وأمَّا الألمعي فهو شديدُ الذَّكاء، يُقال رجل ألمعيٌّ هو شديدُ الذَّكاء، المُلجَأ هو المضطر.

وكـانـت ولَـمَّـا تـزل بـرزةً يـدُ الواثقِ الـــمُلجَأ الألـــمعِي

ماذا يُريد الشَّاعر أن يقول؟ يُريد أن يقول: هُناك في النّاسِ مِن أهل الخيرِ أو مِن أهل الشرّ على حدٍّ سواء، ولكنَّهُ هُنا يتحدَّثُ عن أُناسٍ ربَّما حرَّفوا واقعة الحُسين، فلربَّما هُناك مِن الأذكياءِ ومِن القادرين على أن يفعلوا ما يُريدون اضطرَّتهم حاجتهم واضطرَّتهم أهدافهم إلى أن يرسموا هذه اللوحة لغايةٍ في نفوسهم.

صَناعاً متى ما تُرِد خُطَّةً: صَنَاعاً، الصناع هو الماهر، فهذا الألمعيُّ الواثقُ مِن نفسهِ صاحبُ القدرة الظَّاهرة هو ماهرٌ إذا ما اضطرَّتهُ الظُّروف لأن يصنع أو أن يرسم خُطَّة كي يصل إلى مُرادهِ فلربَّما كان هُناك صنفٌ مِن النّاسِ بهذه الأوصاف هم الَّذين رسموا صورة ما جرى في كربلاء فوصلت إلينا بهذا الشَّكل، لا زال في أبياتهِ يُعطي الاحتمالات.

لـعـلَّ لِـذاكَ وكـونِ الشَّـــجـي ولـوعـاً بـكُـلِّ شَـــجٍ مُـولَـعِ

يداً في اصـــطباغِ حديث الحُســينِ بـلـونٍ أَريـدَ لـهُ مُـمـتـعِ

وكانت ولَمَّا تزل برزةً: لا زال الحديث يستمرُّ على نفس هذه الجديلة، على نفس هذه الطَّريقة.

وكـانـت ولَـمَّـا تـزل بـرزةً يدُ الواثقِ الـــمُلجَأ الألـــمعِي

صَناعاً: على مهارةٍ عالية.

صَناعاً متى ما تُرِد خُطَّةً: الخُطَّةُ: كُلُّ أمرٍ دُبِّرَ لهُ التدبير، ربَّما الآن كلمة "الخُطَّة" في ثقافتنا المعاصرة يُرادُ منها البرنامج المرسوم، هذا أيضاً في لُغة العرب ولكن الاستعمال الشَّائع في الأدب العربيّ القديم حين يتحدَّثون عن خُطَّة يتحدَّثون عن أمرٍ مُدبَّر ليس عن البرنامج لهذا الأمر، الأمرُ المدبَّر يُقال عنهُ خُطَّة وما يُستعمَلُ الآن هو صحيحٌ ولكن هذا الاستعمال ما كان شائعاً لأنَّنا الآن نتحدَّث عن خُطَّة لعمل فالخُطَّةُ برنامج والبرنامجُ معزولٌ عن العمل، بعد ذلك يُمكن أن نُطبِّق الخُطَّة لكن هذا الاستعمال لم يكن شائعاً فحينما يقولون خُطَّة فإنَّهم يقصدون الأمر المدبَّر، الأمر بخُطَّتهِ.

صَـــنَـاعـاً مـتـى مـا تُـرد خُـطّـةً وكـيـف ومـهـمـا تُـرد تصـــنـعِ

لماذا؟ لأنَّهُ ألـمعيٌّ، لأنَّهُ واثقٌ مِن نفسهِ، وإنَّما وثق مِن نفسهِ لأنَّ الآليّات مُتوفِّرة بيده، يستطيع أن يعمل،
هو واثقٌ مِن نفسهِ وألـمعيٌّ وألجأتهُ الظُّروف، ظروفُ حاجته الشَّخصيَّة، ظروفُ أهدافهِ لأيِّ أمرٍ كان، كُلُّ هذه احتمالات، لماذا ذهب إلى هذا الاحتمال؟ لأنَّ اللوحة الحُسينيَّة في غاية الاتقان، فلابُدَّ أنَّ الَّذي رسمها إذا كان هذا الرسمُ كاذباً ليس صحيحاً فلابُدَّ أن يكون ألمعيَّاً، لابُدَّ أن يكون واثقاً، لابُدَّ أن تتوفَّر لديهِ المهارات، ولذلك جاء بِكُلِّ هذه الأوصاف:

وكانت ولَمَّا تزل برزةً، فهذه صفةُ كمالٍ في الشَّخص، صفةُ كمالٍ لا مِن جهةِ الكمالِ في الخير وإنَّما مِن جهة الكمالِ للوصولِ إلى المراد.

وكـــانـــت ولَـــمَّـــا تـــزل بـــرزةً يـدُ الواثقِ الـــــمُلجَـأ الألـــــمعِي

برزة والواثق والألمعي وصَناعاً شديدُ المهارة كُلُّ هذه العوامل ستؤدِّي إلى أنَّ هذا الَّذي رسم اللوحة الحُسينيَّة جمع كُلَّ إبداعهِ فجاءت اللوحةُ هكذا، كُلُّ هذا مع احتمال التشكيك الَّذي بدأ بهِ الشَّاعر في هذا المقطعِ مِن القصيدة ولكن بعد كُلِّ هذا التشكيك:

ولَـمَّـا أزحـتُ طـلاء الـقُـرونِ وسِـتر الخِـداعِ عن الـــــمَخـدَعِ

"القُرون" قد يُرادُ منها الأزمنة وقد يُرادُ منها الأجيال، وإذا أُريد منها الأجيال يكون الكلام أبلغ، فالقرونُ القرنُ زمانٌ والقرنُ جيلٌ، إذا كان يُريدُ منها الأجيال فذلك أبلغ في المعنى.

ولَمَّا أزحتُ طلاء القُرون: الطلاء ما يُطلى بهِ، كُلُّ شيءٍ يُغطَّى بهِ شيءٌ آخر ويلتصقُ به يُقالُ لهُ طلاء، الأصباغ أو غير الأصباغ، أيُّ مادةٍ تُوضَعُ على شيءٍ وتُغطّيه يُقالُ لهذه المادَّة طلاء.

ولَمَّا أزحتُ طلاء القُرون: فهذه الأجيالُ بثقافاتها وهذه الأجيالُ الَّتي مرَّت بمنقولاتها عِبر التأريخِ وعِبر الأشعارِ ما بين الأصدقاءِ والأعداء عِبر الكُتبِ وعِبر المنقولِ على الألسنة وعِبر الوجدان الَّذي تواصل مع هذه الفجيعةِ الَّتي حدثت في أرض الطفوف كُلُّ هذا سيدخلُ فيه ما يدخل، تلك طبيعةُ الأشياء، ولَمَّا أزحتُ طلاء القُرون،

لأنَّهُ هو قد بيَّن:

ومَـحَّصـــــتُ أمـرك لـم أرتـهـب بـنـقـل الـرّواةِ ولـم أَخـدعِ

فأخذ يُزيحُ كُلَّ شيءٍ أمام عقلهِ:

ولَـمَّـا أزحـتُ طـلاء الـقُـرونِ وسِـتر الخِـداعِ عن الـــــمَخـدَعِ

"المخدع" في لُغة العرب هو المكانُ المخفي الَّذي تُوضَعُ فيه الأشياءُ الثمينة، الأشياءُ السِّرّيَّة، مكانٌ صغيرٌ مخفيٌّ في البيت تُوضع فيه الأشياء السِّرّيَّة أو الأشياء الثمينة.

والمخدعُ أيضاً بيتٌ صغير تجلسُ فيه المرأةُ تخلو بحالها، والمخدعُ مكانٌ يكون خاصَّاً للرجالِ أو للنساء ولكن هذا الاستعمال أشهر في لُغة العربِ يكونُ مكاناً خاصَّاً بالنساء، دخلت إلى مخدعها؛ يعني إلى مكانها الخاصّ، أو دخل الملكُ إلى مخدعهِ؛ إلى مكانهِ السِّرّيّ الَّذي ينامُ فيه الَّذي لا يعرفهُ إلَّا خواصّهُ مِن عائلتهِ أو مِن حُرَّاسهِ.

وسِتر الخداع: الخِداع هو هذا الحاجب أو الحاجز الَّذي يُوضَع على المخدع، لنفرض ستارة مِن الستائر موضوعة على باب المخدع هذه الستارة يُقالُ لها خِداع، الخِداعُ هي الستارةُ أو الحاجبُ أو الحاجزُ الَّذي يسترُ باب المخدع، هو مخدع مكان سرّيّ فلابدَّ أن يُغطَّى بابهُ بغطاء بأيِّ لونٍ مِن ألوان الأغطية.

ولَـمَّـا أزحـتُ طـلاء الـقُـرونِ وسِـتر الخِـداعِ عن الـمَخـدَعِ

لأيِّ شيءٍ؟ أُريدُ الحقيقة في ذاتها، بعيداً عن الإضافات.

أَريـدُ الـحـقـيـقـة فـي ذاتـهـا بـغـيـر الـطـبـيـعـةِ لـم تُـطـبـعِ

مِن دونِ تجميل، مِن دونِ تزيين، مِن دونِ تزويق، خصوصاً وأنَّ الَّذي يتحدَّثُ شاعر والشَّاعرُ مهووسٌ بالتزيينِ والتزويقِ والإضافات وتغيير المعاني، أليس الشِّعرُ يُحوِّلون فيه المحسوس إلى معقول، أشياء محسوسة ولكنَّها تُصوَّرُ بمعقولات ويُحوَّلُ في الشِّعرِ المعقولُ إلى محسوس، المعقولات تتحوَّل إلى محسوسات، وكما يقولُ أهلُ الأدب فإنَّهُ يجوزُ في الشِّعرِ ما لا يجوزُ في النَّثر، فهو بطبيعتهِ شاعر ويتصوَّرُ الأمور هكذا وقد يتصوَّرُ النّاس هكذا أيضاً أنَّهم يُضيفون إضافات يُزوِّقون المعاني لذلك يُريدُ الحقيقة في ذاتها.

أَريـدُ الـحـقـيـقـة فـي ذاتـهـا بـغـيـر الـطـبـيـعـةِ لـم تُـطـبـعِ

بعد كُلِّ هذهِ الاحتمالات، بعد كُلِّ هذه الشكوك، بعد كُلِّ عمليَّة الفلترةِ هذه إلى أين وصل الشَّاعر؟

وجدتُك في صورةٍ لم أُرَع: بعد أن أزحتُ كُلّ هذا الَّذي وقع في طريقي.

وجـدتُـك فـي صـورةٍ لـم أَرَع بـأعـظَـم مـنـهـا ولا أروعِ

والشَّاعر هُنا جمع بين معنيين جميلين جداً: وجدتُك في صورةٍ لم أُرَع، فقد راعتني هذه الصورة، وراعتني الصورة ماذا تعني؟ أنَّها أرعبتني وأرهبتني وهزَّتني، وضعتني في

حالٍ لا أستطيعُ أن أُشخِّصهُ، حين يقول القائل في كلام العرب "راعني الأمر" هو لا يدري هل خاف منه؟ هل انبهر به؟ هو مضطربٌ ما بين الخوفِ والانبهارِ وما بين الاستعظامِ لهذا الأمر.

وجدتُك في صورةٍ لم أَرَع بأعظَم منها ولا أروعِ

ولا أجمل منها، فهل الصورةُ الجميلة تُصيب الإنسان بالخوف؟! معانٍ مُتناقضة جميلة جداً وهذه المعاني
لا تجتمعُ في معناها الحقيقيّ إلَّا فيهم صلواتُ اللهِ عليهم مثلما يُخاطب صفيُّ الدِّين الحلّي أمير المؤمنين:

جُمِعت في صِفاتك الأضدادُ فلهذا عزَّت لك الأندادُ

هذه المعاني لن تجتمع إلَّا في الذوات المتكاملة، إلَّا في الذوات الَّتي هي في الذروة العُليا.

وماذا أروعُ مِن أن يكون لحمُك وقفاً على المبضعِ

"المبضع" هو الآلةُ الحديديَّةُ الحادَّة، المبضع هو المشرط والمشرط الآلةُ الحديديَّةُ الحادَّة، قطعاً القافية تحكمُ على الشَّاعر فهو لا يتحدَّث هُنا عن المبضع بالمعنى اللغويّ الحادّ للكلمة وهو المشرط وإنَّما يتحدَّث بجنس المبضع، بكُلِّ الآلات الجارحة، وسيِّدُ الشُّهداء قُتِل بِكُلِّ ما نستطيع أن نتصوَّر مِن الآلات الَّتي تُسبِّبُ الألم، الرِّواياتُ عنهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين أنَّ الحُسين قُتِل بالسيوف والحِراب، الحِراب غير السيوف، والرِّماح والسِّهام والنِّبال، النِّبال غير السِّهام، والإمام الباقر يقول: وَلقَد ضَربُوهُ بالعصيّ والخشب، العصيّ قد تكونُ مِن حديد، والخشب الإمام يُشير إلى أعمدةِ الخيام، جرّوا أعمدة خيامه، لقد ضربوهُ بالعصيّ وبالخشبِ وبالسّيوفِ وبالرِّماحِ وبالحِرابِ وبالحِجَارة، فما تركوا شيئاً يُمكن أن يُسبِّب ألَماً إلَّا واستعملوه في ذلك اليوم.

وماذا أروعُ مِن أن يكون لحمك وقفاً على المبضعِ

وأن تتَّقي دون ما ترتئي ضَميرك بالأَسَّلِ الشُّرَّعِ

الأُسَّل؛ الرِّماح، والأُسَّلُ الشُّرَّع؛ الرِّماح الشَّارعة، ويُقالُ للرُّمح رمحٌ شارع حينما يكون رأسُ الرُّمح حاداً وعريضاً، ونحن نقرأ في كُتب التأريخ وفي كُتب المقاتل أشدُّ ضربةٍ آلَمت الحُسين الطَّعنة الَّتي وجَّهها سنان لسيِّد الشُّهداء في بواني صدره، في بواني صدرهِ

يعني في أضلاعهِ فكسَّر أضلاعهُ بعد أن سقط سيِّدُ الشُّهداء على الأرض، أقوى ضربة وُجِّهت لهُ الطَّعنةُ الَّتي طعنهُ بها سنان بن أنس فطعنهُ بالرُّمحِ في بواني صدره، وبواني الصَّدر هي الأضلاع فكسَّر أضلاعهُ الشَّريفة.

وأن تتَّقي دون ما ترتئي: تجعلُ مِن نفسك واقيةً وحامية لأيِّ شيءٍ؟ لما ترتئي، لعقيدتك، لرأيك، ما ترتئي؛ ما تراهُ مِن رأيٍ.

وماذا أروع مِن أن يكون لحمك وقفاً على المبضعِ

لماذا؟ فإنَّك تجعلُ مِن نفسك دِرعاً وواقيةً لعقيدتك، لِما ترتئيه.

وأن تتَّقي دون ما ترتئي ضَميرك بالأَسَّلِ

وأن تُطعم الموت خير البنينِ مِن الأكهلّين إلىَّ ٱلرُضَّعِ

والبيت واضح لا يحتاجُ إلى شرح.

وأن تُطعم الموت خير البنينِ مِن الأكهلين إلى الرُضَّعِ

وهذا المعنى مأخوذٌ مِن كلماتِ سيِّد الشُّهداء: لا أَعلمُ أصحاباً أوفى مِن أصحابي ولا أهل بيت أَبَر وأَوصَل مِن أهلِ بيتي.

وأن تُطعم الموت خير البنينِ مِن الأكهلين إلى الرُضَّعِ

وخير بني الأُمِّ مِن هاشمٍ: إذا أردنا أن نتفحَّص الَّذين قُتلوا مِن الهاشميِّين مع سيِّد الشُّهداء مَن هُم؟ الَّذين قُتِلوا أولادُ عليٍّ وأولادُ جعفر وأولادُ عقيل، وهؤلاءِ أُمُّهم فَاطِمَة وفَاطِمَة بنتُ أسد وأسد بن هاشم، وهو يُشير إلى هذه الجهة: كُلُّ الهاشميِّين الَّذين قُتلوا مِن جهة الأُمِّ ينتسبون إلى فَاطِمَة بنت أسد وفَاطِمَةُ بنت أسد هي بنتُ هاشم فأسد هو ابنُ هاشم.

وخير بني الأُمِّ مِن هاشمٍ: إذا تتذكَّرون في الليلة الماضية مرَّ علينا هذا التعبير: (ويا غُصن هاشم) وقُلت القضيَّة هُنا ترتبط بضرورة شعريَّة وإلَّا السياق النَّحوي الصَّحيح كما جاء في هذا البيت:

وخير بني الأُمِّ مِن هاشمٍ وخير بني الأَبِ مِن تُبَّعِ

هذا العجز مِن البيت بالنِّسبةِ لي لا أعرفُ لهُ معنىً إلَّا أن يُشير إلى والدة عبد المطَّلب صلواتُ اللهِ عليه، فلا علاقة بين بني هاشم وبين تُبَّع، تُبَّع هم قبائلُ اليمن، تُبَّع هم سادةُ

حِميَر، سادةُ القبائل اليمنيَّة، والتبابعةُ هم ملوكُ اليمن فما علاقةُ اليمانيّين بالهاشميّين؟! اليمانيّون قحطانيّون والهاشميّون عدنانيّون، الجغرافية مُختلفة، الأنساب القبائليَّة مُختلفة، إلَّا هذهِ الحالة أو هذه الصورة فإنَّ هاشم القمر جدُّ الهاشميّين تزوَّج مِن الخزرج وزوجتهُ مِن الخزرج كانت أُمَّاً لعبد المطَّلب وما ولدت إلَّا عبد المطَّلب لأنَّ هاشم سافر إلى الشَّام وتوفّي في فلسطين في غزَّة، فولدت عبد المطَّلب، مِن هذه الجهةِ هُناك خؤولةٌ للهاشميّين في تُبَّع وتبابعة اليمن ولا أعرفُ معنىً آخر غير هذا، وإلَّا لا توجد رابطة بين بني هاشم وبين التبابعةِ في اليمن إلَّا هذه الجهة الَّتي أشرتُ إليها.

وخـيـر بـنـي الأُمِّ مِـن هـاشـمٍ وخـيـر بـنـي الأَبِ مِـن ثُـبَّـعِ

كما يقول العرب إنَّما الرجلُ بأخوالهِ فهُنا تحدَّث عن أُمِّهم عن فَاطِمَة بنت أسد وتحدَّث عن أبيهم عن عبد المطَّلب وإنَّما الرجلُ بأخوالهِ، وقطعاً القافية تحكمُ الشَّاعر في كثيرٍ مِن الأحيان وإن كان الجواهريُّ ليس كهؤلاءِ الشُّعراء الَّذين ينظمون شعرهم يختارون كلمات القوافي وبعد ذلك ينظمون الأبيات، الجواهري لم يكن هكذا، الجواهري كان يرتجلُ الشِّعر ارتجالاً.

وأن تـتَّـقـي دون مـا تـرتـئـي ضَمـيـرك بالأَسَّـلِ
وأن تُـطـعـم الـمـوت خـيـر الـبـنـيـن مِـن الأكـهـلّـيـن إلـىَّ الـرُضَّـعِ
وخـيـر بـنـي الأُمِّ مِـن هـاشـمٍ وخـيـر بـنـي الأَبِ مِـن ثُـبَّـعِ
وخيرَ الصِّحابِ بِخير الصُّدورِ كـانـوا وقـاءَك والأذرُعِ

وأعتقد الأبيات واضحة.

إلى أن يقول:

وقـدَّسـتُ ذكـراك لـم أنـتـحـل ثـيـاب الـتُـقـاةِ ولـم أدَّعِ

إنَّني قدَّستُ ذكراك بعد كُلِّ تلك الشكوك وبعد أن حكَّمتُ عقلي وأزحتُ طِلاء القرون وسِتر الخداعِ عن المخدعِ وتجلَّت لي صورتك يا حُسين جليَّةً واضحةً مِن دونِ إضافات، مِن دونِ حديث الرُّواة، فلقد كشفتَ لي عن نفسك بنفسك مِن دونِ ناقلٍ، دلَّني إلى ذلك عقلي.

وقـدَّسـتُ ذكـراك لـم أنـتـحـل ثـيـاب الـتُـقـاةِ ولـم أدَّعِ

لم أنتحل ثياب التُقاة؛ لم ألبس ثياب التُقاة زيفاً، وهُنا لا يتحدَّثُ عن الأثوابِ بما هي أثواب وإنَّما يُريدُ أن يقول مِن أنَّني لم أتظاهر بتقوىً أو بدينٍ أو بأيِّ التزامٍ مِن الالتزامات فإنَّني حُرٌّ حكَّمتُ عقلي في أمرك بعيداً عن الطقوسِ وعن كُلِّ الإضافات.

وقدَّستُ ذكراك لم أنتحل ثياب التُقاةِ ولم أدَّعِ

لأنَّ هذه الطقوس وهذه الإضافات تُعيقني في الوصولِ إلى ما أُريد.

ثُمَّ يرسمُ هذه الصُّورة الجميلة الَّتي تنتهي إليها القصيدة:

تقحَّمتَ صدري وريبُ الشُّكوكِ يضجُّ بِجدرانهِ الأربعِ

التقحُّم هو الدُّخول بقوَّةٍ لا تُقاوَم، هذا هو التقحُّم، الأبواب مُغلَقة ويأتي مَن يمتلكُ القُوَّة تتهاوى الأبوابُ بين يديه ولا يُمكن أن يُقاوَم، هذا هو الَّذي يتقحَّم، (تقحَّمتَ صدري) هُنا يتحدَّثُ عن هذا الطوفان الحُسينيّ، إذا كان طوفانُ نوح تفجَّر مِن تنّورِ ولدهِ سام فطوفانُ الحُسينِ تفجَّر مِن نحر الحُسين، تفجَّر طوفان الحُسينِ مِن نحر الحُسين، تقحَّمتَ صدري.

قضيَّةٌ لابُدَّ مِن الإشارةِ إليها: أيُّ مُنصفٍ بعيداً عن التَّفاصيل الدِّينيّةِ وبعيداً عن الطُّقوسِ، أيُّ مُنصفٍ يمتلكُ ثقافةً ويعرفُ تفاصيل التأريخ ويقرأ الحُسين في كُلِّ الكُتب بعيداً عن الانتماءِ إلى أيِّ جهةٍ مِن الجهات، بعيداً حتَّى عن كربلاء، يقرأُ الحُسين بما هو الحُسين، أيُّ مُنصفٍ سيجدُ نفسهُ أمام طودٍ شامخٍ مِن الحِكمةِ والفضل، مِن المُستبعَدِ جدَّاً أنَّ طوداً بهذه القيمةِ وبهذه العَظَمة المهولةِ أن يُقَطِّع نفسهُ إرباً إربا لأمرٍ ليس حقيقيَّاً، أبداً، لا يُمكنُ أن يُقبَل هذا، عقلٌ بعقل الحُسينِ لا يُمكنُ أن يتحرَّك بهذا الاتِّجاه فيُجري على نفسهِ ما جرى ويُجري على أعزّ النّاسِ عليه وكان بإمكانهِ أن يدفع ذلك عن نفسهِ ما لم يكن لحقيقةٍ ثابتةٍ واضحةٍ وهذا هو أدلُّ دليلٍ على الحقيقة إذا أردنا أن نبحث عنها، أدلُّ دليلٍ على منهج الكتابِ والعترةِ هو هذا، بعيداً عن كُلِّ المصطلحات وبعيداً عن كُلِّ أساليب الاستدلال.

تقحَّمتَ صدري وريبُ الشُّكوك يضجُّ بِجدرانهِ الأربعِ

ريبُ الشُّكوكِ في كُلِّ شيءٍ، وهذه الحالةُ موجودةٌ في شعر الجواهري، حالةُ الشَّك موجودةٌ على طولِ قصائدهِ، لربَّما أخذها مِن المعرّي، فالجواهري تأثَّر كثيراً بالمعرّي، وشعرُ أبي العلاء المعرّي تغلبُ عليه هذه الصبغة، ولربَّما جاءتهُ مِن ثورتهِ العارمةِ على وضعهِ الدِّيني السَّابق.

المجلس الثاني - السويد

تقحَّمتَ صـــدري وريبُ الشُّـــكوك يضـــــجُّ بِـــجـــدرانـــهِ الأربـــعِ

وران سحابٌ صفيقُ الحجاب: صفيق يعني في غاية السُّمك ولذلك يُوصفُ الرَّجلُ الثَّقيلُ الظِّل بأنَّهُ صفيق، يُقال هذا صفيقٌ لأنَّهُ ثقيلُ الظِّل، الصَّفيقُ هو السَّميك.

وران سحابٌ: ران؛ تجمَّع، والرَّينُ هو الصدأ والرَّينُ هو الهمّ والرَّينُ هو الوسخ، وران بل ران على قلوبهم في التعبير القُرآني رَانَ على قُلُوبهم، وفي أحاديثهم الطَّاهرة هم يقولون: حديثُنا يُزيلُ الرَّينَ عن القُلُوب، يجلو الرَّينَ عن القلوب.

وران ســـحـــابٌ صـــفيقُ الحجـابِ عَـلَـيَّ مِـن الـقـلـقِ الـــــمُـفـزعِ

هو يصفُ حالتهُ النَّفسيَّة ما بين شكوكٍ وما بين قلقٍ وما بين تردُّدٍ وحَيرةٍ.

وران ســـحـــابٌ صـــفيقُ الحجـابِ عَـلَـيَّ مِـن الـقـلـقِ الـــــمُـفـزعِ

وهـبَّـت ريـاحٌ مِـن الـطـيِّـبـاتِ والـــــطـــــيِّـــبـــيـــن....

مِن أُناسٍ مِن الرجالِ مِن النساءِ هُناك مَن كلَّمني، هُناك مَن خاطبني، هُناك مَن واصلني بحديثٍ يُناقشُ شكوكي ولكنَّ ذلك ما نفعني.

وهـبَّـت ريـاحٌ مِـن الـطـيِّـبـاتِ والـطـيِّـبـيـن ولـم يُـقشـــعِ

لـم ينقشع هذا الرَّين، لم ينقشع هذا الشَّك.

إذا مـا تـزحـزح عـن مـوضـــعٍ تـأبَّـى وعـاد إلـى مـوضـــعِ

فإذا ما شككتُ في شيءٍ وناقشتُ نفسي أو ناقشني الآخَرون ربَّما تحرَّك مِن موضعٍ ولكنَّهُ سينتقلُ إلى موضعٍ آخَر.

إذا ما تزحزح عن موضعٍ تأبَّى -تأبَّى يعني تمنَّع- تأبَّى وعاد إلى موضعِ.

وجـاز بـي الشَّـــكُّ فـيـمـا مـعَ الـجـدودِ إلـى الشَّـــكِّ فيـمـا مـعـي

صار الشَّكُ مُتَّسعاً ما بين الماضي والحاضر ولكن متى زال كُلُّ ذلك؟

إلـى أنْ أقـمـتُ عـلـيـه الـدَّلـيـل مِـن مـبـدإٍ بـدمٍ مُشـــبَـعِ

المجلس الثاني - السويد

الاستدلالُ الَّذي أشرتُ إليه قبل قليل مِن أنَّ كائناً كالحُسينِ بكُلِّ كينونتهِ الكاملة أن يُجري على نفسه ما جرى لا يُمكن أن يكون إلَّا في سبيلِ حقيقةٍ واضحةٍ ناصعةٍ صريحةٍ لا مجالَ للشَّكِّ فيها.

إلـى أنْ أقـمـتُ عـلـيـه الـدَّلـيـل مِـن مـبـدإٍ بـدمٍ مُشـبَـعِ

بدمِ الحُسينِ، بدم مُشبع؛ مُشبعٌ بدمِ الحُسين.

فأسلم طوعاً إليك القياد: هو لم يُشر إلى الجهة الَّتي أسلمت إنَّهُ يتحدَّثُ عن العقل مِن البداية لذلك ما أشار إليه.

فـأسـلـم طـوعـاً إلـيـك الـقـيـاد وأعـطـاكَ إذعـانـة الـمُـهـطـعِ

مَن هو المهطع؟ المهطعُ هو الذَّليلُ الَّذي قد تفرَّغ مُحتواه وعُيونهُ مشدودةٌ بعلُوٍ إلى جهةٍ هو مبهورٌ فيها، هذا هو المهطع، المهطع الَّذي لا تتحرَّكُ عيناه عن جهةٍ قد انبهر بها ويشعرُ بالهَوانِ والمذلَّة بين يديها ويشعرُ بالصَّغار.

فأسلم طوعاً إليك القياد: أسلم طوعاً إليك القياد؛ وضع الحُكم بيدك فلا مجال هُنا لا للنِّقاشِ ولا للبحثِ ولا للردِّ.

فـأسـلـم طـوعـاً إلـيـك الـقـيـاد وأعـطـاكَ إذعـانـة الـمُـهـطـعِ

لَمَّا صار عقلي بهذه الصورة:

فنوَّرت ما اظلمَّ مِن فِكرتي: حين أسلمتُ إليك حلَّ النُّورُ في عقلي، حين أسلمتُ إليك النَّتيجةُ هذهِ، هذه الفاء يُقالُ لها فاءُ التفريع، فاء السببيَّة، يعني هذا مُتفرِّعٌ على الَّذي قبله.

فـأسـلـم طـوعـاً إلـيـك الـقـيـاد وأعـطـاكَ إذعـانـة الـمُـهـطـعِ

فـنـوَّرت مـا اظـلـمَّ مِـن فِـكـرتـي وقـوَّمـت مـا اعـوجَّ مِـن أظـلـعـي

الأضلع قد تكون جمعاً لضلع ولكنَّه لا يتحدَّث عن الأضلاع هُنا، هُناك أضلع وهُناك أظلع بأخت الطَّاء، الأظلع مرَّت الإشارة إليهِ:

يسـيـرُ الـورى بـركـابِ الـزَّمـانِ مِـن مُسـتـقـيـمٍ ومِـن أظـلـعِـي

وهو الأعرج، (وقوَّمت ما اعوجَّ مِن أظلع) هو انحرافي واعوجاجي، ليس الحديث عن الأضلاع هُنا لأنَّ الأضلع هو المعوجّ المنحرف، والأظلع بأخت الطَّاء ذلك هو الأعرج.

فنوَّرت ما اظلمَّ من فِكرتي وقوَّمت ما اعوجَّ مِن أظلعي

وآمنتُ إيمان مَن لا يرى سوى العقلِ في الشَّكِّ مِن مرجعِ

وهذا هو المنطقُ السَّليم، مِن أكبرِ مشاكلنا في السَّاحةِ الشِّيعيَّةِ الثَّقافيَّة مِن أكبرِ مشاكلنا حينما يبتعدُ الدِّينُ عن العلمِ والعقل، فهُنا تأتي الخُرافات، وهُنا تُصدَّقُ الأكاذيب وتُصدَّقُ الادِّعاءات، حين يبتعدُ الدِّينُ عن العِلمِ والعقل، وأتحدَّث عن العلم عن العلم الدِّيني، والعلمُ الدِّيني هو علمُ الكتابِ والعترة وإلَّا لا شأن للدِّين بعلم الكيمياء والطبّ، فإذا كان لهُ مِن شأنٍ فتلك هي شؤون الحياة وحاجاتها، الدِّينُ إذا انفكَّ عن العلمِ والعقل صار هُراء، حينئذٍ صار خرابيط، هذا هو الواقع وهذه هي المشكلة الَّتي تُعاني منها ساحةُ الثَّقافةِ الشِّيعيَّة.

وآمنتُ إيمان مَن لا يرى سوى العقلِ في الشَّكِّ مِن مرجعِ

بأنَّ الإباء (إباؤك يا حُسين) ووحي وفيض النُّبُوَّةِ مِن منبعِ

لا يُمكن أن تنفكَّ هذه المعاني فلا يأتي مِن السَّماءِ إلَّا الحِكمة ولا يصعدُ منكم يا آلَ مُحَمَّد إلَّا الحِكمة.

بأنَّ الإباءَ ووحي السَّماءِ وفيض النُّبُوَّةِ مِن منبعِ

مِن أصلٍ واحد.

تجمَّعُ في جوهرٍ خالصٍ تنزَّه عن عرض المطمعِ

فداءٌ.. فداءٌ لِمثواكَ مِن مَضجعِ..

هذهِ القصيدةُ بحسبِ ما أعتقد وليس بالضَّرورةِ أن يكون ما أعتقدهُ صحيحاً، بحسبِ ما أعتقد هذه القصيدةُ شكَّلَت نُقطةً فاصلةً في تأريخ الأدب الحُسينيّ، الأدبُ الحُسينيُّ قبل هذه القصيدة كان شيئاً وبعد هذه القصيدة صار شيئاً آخَر، في تأريخ الأُمَم بشكلٍ عام، في تأريخ الفِكر، في تأريخ الأدب في بعض الأحيان قد تأتي شخصيَّةٌ فتُشكِّلُ فارقاً فيما بين ما قبل وما بين ما بعد، وفي بعض الأحيان قد يصدرُ كتاب قد تكون هُناك نظريَّة،

في بعض الأحيان قد يكون هُناك نصّ، نصٌّ واحد مثل هذا النَّصّ، نصٌّ يتيم فجعل حاجزاً في تأريخ الأدب الحُسينيّ وشكَّل صُورةً مِن المذاق الأدبيّ العالي والرَّاقي جداً.

ما بعد قصيدة الجواهري بحسب تتبُّعي ولا أدَّعي أنَّني تتبَّعتُ كُلَّ شيء ولكنَّني أتتبَّعُ ما في الأجواء الأدبيَّة بنحوٍ عام، ما بعد قصيدة الجواهري كُلُّ الشُّعراء الحُسينيّين، وحين أقول الشُّعراء الحُسينيّون الَّذين نظموا في الحُسين بغضِّ النَّظر عن تشيُّعهم، عن تديُّنهم، عن أيِّ اتِّجاهٍ مِن اتِّجاهاتهم، حديثي عن الشُّعراء الحُسينيّين الَّذين نظموا شعراً في الحُسين، كُلُّهم حاولوا الاقتراب مِن مُستوى هذه القصيدة، ما استطاع أحدٌ أن يصل إليها، أخذوا منها، تأثَّروا بها، إذا أردنا أن نُراجع شعر السيَّاف مثلاً، أو شعر عبد الوهاب البيَّاتي، أو شعر نزار قبَّاني، هؤلاء يُمثِّلون اتِّجاهات مُختلفة كتبوا في الحُسين الَّذي يغلبُ على ظنّي هم أخذوا مِن هذه القصيدة ولكن ما وصلت قصائدهم إلى معشارِ عُشرها الأدبي، وحتَّى مصطفى جمال الدِّين في الاتِّجاه الآخر، الشَّيخُ الوائلي وآخرون، حين كتبوا حاولوا أن يقتربوا مِن فناءِ هذه القصيدة، أخذوا منها، ولكن ما وصلوا إلى معشارِ عُشرها، بقيت هذه القصيدةُ يتيمةً.

ربَّما ربَّما قاربها الشَّاعرُ العراقي المندائي عبد الرزَّاق عبد الواحد في ميميَّتهِ ربَّما قاربها وما ذلك بشيءٍ غريب فعبد الرزَّاق عبد الواحد صورةٌ مُنعكسة في شعرهِ عن الجواهري، قد تأثَّر كثيراً بشاعريَّة الجواهري.

أقتطفُ لكم أبياتاً مِن ميميَّتهِ وستتلمَّسون بعد أن تحدَّثنا عن معاني هذه القصيدة ستتلمَّسون جانباً مِن هذه المعاني في ميميَّةِ الشَّاعر العراقي المندائي عبد الرزَّاق عبد الواحد:

قَـدِمـتُ وعـفـوكَ عـن مَـقـدمـي ... حَسـيراً أسـيراً كَسـيراً ظمي

قَـدِمـتُ لِأَحـرِمَ مِـن رَحـبَـتـيـك ... سـلامٌ لِـمـثـواك مِـن مَـحـرَمِ

فَمُـذ كُنـتُ طفلاً رأيـتُ الحُسـين ... مـنـاراً إلـى ضـوئـهِ أنـتـمـي

ومُـذ كُنـتُ طفلاً وجـدتُ الحُسـين ... مـلاذاً بـأسـوارهِ أحـتـمـي

ومُـذ كُنـتُ طفلاً عَرفـتُ الحُسـين ... رِضـاعـاً ولـلآن لـم أَفـطَـمِ

سَـلامٌ عـلـيـك فـأنـتَ السَّـلامُ ... وإنْ كُـنـتَ مُـخـتَضِـبـاً بـالـدَّمِ

وأنتَ الطّريقُ إلى الكبرياءِ بما دِيسَ مِن صدرك الأكرمِ
وإنَّكَ مُعتَصَمُ الخائفين يا مَن مِن الذّبحِ لم يُعصَمِ
لقد قُلتَ للنَّفس هذا طريقك لاقي به الموت كي تسلمِ
وخُضتُ وقد ظُفِر الموتُ ظفراً فما فيه للروحِ مِن مخرمِ
وما دار حولك بل أنتَ دُرت على الموتِ في زَرَدٍ مُحكمِ
مِن الرفضِ والكبرياءِ العظيمة حتَّى بَصُرتَ وحتَّى
فمسَّك مِن دون قصدٍ فماتَ وأبقاك نجَماً مِن الأنجمِ

القصيدة طويلة، إلى أن يقول في أبياتٍ جميلةٍ جداً لم أقرأ مثلها في غاية الأدبِ وهو يتحدَّثُ عن عقيلةِ بني هاشم:

سلامٌ على هالةٍ ارتَقت بلألاءها مُرتقى مريمِ
طَهورٌ مُتوَّجةٌ بالجلالِ مخضبَّةٌ بالدَّم العندمِ
تهاوت فصاحةُ كُلّ الرِّجالِ أمام تفجُّعها المُلهَمِ
وراحت تُزَعزِعُ عرش الضلالِ بصوتٍ بأوجاعهِ مُفعَمِ
ولو كان للأرضِ بعضُ الحياءِ لَمادت بأحرُفها اليُتَّمِ

إلى أن يقول:

ويابن الّذي سيفهُ ما يزال إذا قيل يا ذا الفقار احسمِ
فيا سيِّدي يا سنا كربلاء يُلألئ في الحلك الأعتمِ
تشعُّ منائرهُ بالضياءِ وتَذخرُ بالوجع المُلهِمِ
ويا عطشاً كلُّ جدب العصورِ سينهل مِن نورك الزَّمزمِ

يا حُسين..

سأطبعُ ثغري على مَوطِئيك سَلَامٌ لأرضك مِن مَلثَمِ

فداءٌ.. فداءٌ، ألا ترون القصيدة تخرجُ مِن بين طيَّاتها: فداءٌ.. فداءٌ لِمثواك مِن مضجعِ..

سيبقى حديثنا هو هذا، كربلاء هاجسنا ومِن كربلاء إلى كربلاء..

المجلس الثاني - السويد

شاعرنا يُسائلها وناثرنا يُناجيها، نحن قريبون منها وإن كُنَّا بعيدين.

جينا ننشد كربلا مضيعينها بيها زينب گالوا

يسّروها ولا لها واحد وشال حادي ضنعونها بسْاع وگطع

جينا ننشد وين أبو فاضل وگع ما تدلّونه الشريعة

أيُّها الكربلائيّون.

وسؤالٌ إلى قمر الهاشميّين:

جينا ننشد هم صدق بالشَّام عيد وحطّوا بطشت الذّهب راس الشَّهيد

وزينب مدخلينها لديوانه يزيد واجفة يو جاعدة مخلّينها

جينا ننشد.. جينا ننشد كربلا مضيعينها..

سيبقى شاعرنا يُسائل.. ويبقى ناثرنا يُناشد..

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الحُسَين بِحقِّ الحُسَين اشفِ صَدر الحُسَين بِظُهُور الحُجَّة عَلَيه السَّلام..

أسألكم الدُّعاء جميعاً..

وصلَّى الله على سيِّدنا ونَبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلهِ الأطيَبين الأطهَرين.

وفي الختام:

لابُدّ من التنبيه إلى أنّنا حاولنا نقل نصـــوص المجلس كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل المجلس بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المُتابَعة

القمر

1439هـ

2017 م

على ضِفَاف الحرُوف .. شرح عينِيّة الجَواهري – السويد ... متوفّر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv